العدد 14 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2026
No. 14 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

(الحراسة اللغوية عند الجوهري في كتابه تاج اللغة وصحاح العربية)

أ.م.د ـ سعد خطاب عمر خضر
مديرية تربية صلاح الدين
قسم تربية الشرقاط
saad kahttab @ gmail.com

الملخص:
ظهرت ملامح الحراسة اللغوية مع بدايات نشأة اللغة؛ لكنها لم تكن واضحةَ المعالم في بواكيرها؛ لأن الجمعَ كانَ له الأولويةُ في حساباتِ اللغويين خوفًا منهم على الإرث اللغوي من الضياع والاندثار، فلو عدنا إلى معجم (العين) وفتشنا في مواده لوجدنا نظامه الداخلي في جمع الألفاظ نظاما شموليا ليحيط بكل مرامي اللغة، وقد ظهرت بعض اللمحات التي تشير إلى وجود خيوط دقيقة تُظهر مَلامحَ الحماية لبعض مفردات اللغة، وكذا الحال في معجم (الجيم)، إذ ظهرت أيضًا بعض اللمسات للحراسة اللغوية في معجمه، فهذان المعجمان يُعدان أقدم معجمينِ أُلِّفا في هذا المضمار؛ لكنَّ الذي يقلب صفحات المعاجم اللغوية التي أُلفت في القرن الرابع الهجري، لا يكاد يقلب القارئ صفحة إلا ووجد إشارة لهذه الظاهرة، فبهذا صارت ظاهرة بارزة أمام العيان.
الكلمات المفتاحية : اللغة، دلالة ، نصوص، موازنة، معجمات

Linguistic safeguarding according to Al-Jawhari in his book Taj Al-Lughah wa Sahah Al-Arabiyyah

L.D- Saad Kahttab Omer Khader
Salah al-Din Education Directorate P.Sharqat Education Department

ABSTRAT
The features of Linguistic preservation appeared with the very beginning's of the Language; however,they were not clearly defined; as collection took priority in the calculations of linguists, who feared the loss and extinction of the linguistic heritage. If we returen of the dictionary (AL-Ayn) and examine its entries, we find its internal system for collecting wordsto be comprehensive system encompassing all aspects of the language. Some glimpses have appeared indicating subtle threads that reveal features of protection for some vocabulary the same is true in the dictionary (Al –Jim), where some touches of linguistic preservation have also appeared. These two dictionaries are considered the oldest dictionaries compiled in this field; however, anyone who turns the pages of linguistic dictionaries compiled in the fourth century AH will hardly find a page without finding a reference to this phenomenon. Thus, it became a prominent phenomenon.
Keywords :(dictionaries ،budget ،texts ،significance ،Language)

المقدمة:
الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:
فقد حشد اللغويون هِمَمَهم، وبذلوا قصار جهدهم، إذ رأيناهم ارتحلوا من بادية إلى أخرى، فهذا الكسائي ينفذ خمس عشرة قنينة من المداد ليلتقط ما تتفوه به الأفواه السليمة، وهذا لم يكن وليد يوم وليلة، بل كان يتجاوز الأيام والأسابيع، بل وحتى الشهور ليجمع شتات اللغة بأصواتها وألفاظها وتراكيبها على الوجه الصحيح الذي نشأت به حرصًا منه على جمع لَبِنات هذا الصرح الكبير، ومثله الأزهري الذي أُسِرَ عند القرامطة، إذ شافه الأعراب الذين ما زالوا يتكلمون العربية الفصيحة بالسليقة، إذ نراهم وقفوا على الحرف(الصوت) وهل فيه إعجام(تنقيط) أم لا، وما هي حركته داخل بنية الكلمة، وكذا الحال مع الكلمة بعدِّها الطور الثاني من هيكلة هذه اللغة، وكيف تكون من حيث الوزن والترتيب، ثم تأتي الجملة الأكثر

تعقيدا ببنائها، لكونها تحمل الإسناد والتعدية، وغير ذلك من متعلقات وروابط داخلة في تأسيس الجملة، التي تشكل النص فيما بعد، فكل ما ذُكر موقوف على صحة الحرف والكلمة، لأنهما يشكلان الأساس الأول في بناء الكلام العربي.

أما عنوان البحث الذي ابتدأ بلفظة (الحراسة)، فقد جاء تبعًا لما ذكره نشوان بن سعيد الحميري(الصحاح:16/1) ـــ في معرض حديثه عن أصحاب المعجمات ـــ قائلا:" واجتهدوا في حراسة ما وضعوه، وما حفظوه، وصنفوا من ذلك وجمعوه، ورووه عن الثقات وسمعوه، فمنهم من جعل تصنيفه حارسا للنقط. وضبطه بهذا الضبط، ومنهم من حرس تصنيفه بالحركات بأمثلة قدروها، وأوزان ذكروها...." ، فضلا عن ذلك قد ذكر جذرها في قوله تعالى:﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ (سورة الجن، آية:8).

قد كانت اللغة العربية ـــ دون شك ـــ عند العرب الأوائل سليمة صحيحة بالفطرة لا تشوبها شائبة، ولا تحتاج إلى دربة أو دراية لمعرفة مكنوناتها ومكوناتها من ألفاظ ودلالات؛ لكنَّ الأمرَ ـــ فيما يبدو ـــ قد اختلف بعد مجيء الإسلام الذي هيمن على عقول العرب وقلوبهم، وتجاوز ذلك لينالَ غيرَ العربِ، ومن هنا بدأت الحكاية في انحراف اللسان عن جادة الصواب، وهنا لحظ المعجميون ـــ في القرن الثالث وما تلاه ـــ أن الكثير من الكلمات على شفا جرف، أي أنها قريبة من النطق غير السليم، وهذا مما يودي بها إلى منزلق الخطأ في المعنى سواء أ مقصودًا كان أم غير مقصود، وهنا نشأت قصة الحراسة لتلك الألفاظ، لتحميها من التصحيف والتحريف لتكون لغة سليمة من الآفات التي ربما تنخر جسدها من دون أن تشعر، إذ انبرى اللغويون لهذه القضية، فوضعوا حدودا متنوعة ابتداء بالتنقيط، والحركة ، والوزن والتمثيل والمنزلة، وصولا إلى التركيب.

اقتضت الدراسة على أن تكون ضمن مجالات اللغة التي ذُكرت عند العلامة نشوان بن سعيد الحميري، فقد اختص المبحث الأول بـ(التصنيف)، والثاني بـــ(الرواية)، والثالث بـ(الإعجام)، والرابع بـ(التشكيل أو الحركة)، والخامس بـــ(الوزن)، أما السادس، فقد جاء فيه (التمثيل والمنزلة).

التمهيد (يندرج تحته محوران):

_الأول: عن الجوهري وصحاحه:

الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري[1]،الإمام اللغوي العظيم[2]، وصفه ياقوت بقوله: كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما، وأصله من فاراب من بلاد الترك[3]؛ وخطّه يضرب به المثل فى الحسن، ويذكر فى الخطوط المنسوبة كخطّ ابن مقلة[4]، ثم هو من فرسان الكلام والأصول، وسافر إلى الحجاز، وشافه باللغة العربَ العاربةَ[5]، وممّن آتاه الله قوّة بصيرة، وحسن سريرة وسيرة، وكان يؤثر السفر على الوطن، والغربة على السّكن والمسكن، ويخترق البدو والحضر، ودخل ديار ربيعة ومضر، فى طلب الأدب، وإتقان لغة العرب؛ وحين قضى وطره من قطع الآفاق، والاقتباس من علماء الشام والعراق، عاود خراسان، ثم أقام بنيسابور ملازما للتدريس والتأليف.، وتعلم الخط وكتابة المصاحف والدفاتر حتى مضى لسبيله[6].

أما الصحاح فهو أول معجم لغوي صحيح سار على نهج يسَّرَ اللغة، وقربها وجعلها في متناول الناس جميعا[7]، وكتاب الصّحاح فى اللغة أكبر وأقرب متناولا من مجمل اللّغة[8]،أحسن تصنيفه، وجود تأليفه،

---

(1) يتمة الدهر في محاسن أهل العصر:468/4، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء:252.

(2) مقدمة الصحاح:3.

(3) بغية الوعاه:446/1..

(4) الأعلام للزركلي:313/1.

(5) بغية الوعاه:446/1.

(6) بغية الوعاه:447/1.

(7) مقدمة الصحاح:3.

(8) إنباه الرواة على أنباه النحاة:230/1.

ألفه فمهد الطريق وعبده أمام الناس، حتى الشادي نفسه يستطيع بقليل من المعرفة بالمعاجم وطريقة البحث فيها أن يهتدي إلى ضالته من الكلمات. ومن هنا كانت مزية الصحاح على كل المعجمات التى سبقته أو عاصرته[9]. أما نظامه فقد اعتمد فيه نظام الباب والفصل.

الثاني: الحراسة ومعناها اللغوي:

قال الجوهري[10]: " حَرَسَهُ يَحْرُسَهُ حِراسَةً، أي حفظه. وتَحَرَّسْتُ من فلان واحْتَرَسْتُ منه بمعنى، أي تحفَّظت منه. وفي المثل: " مُحْتَرِسٌ من مثله وهو حارِسٌ ". والحَرَسُ: حَرَسُ السُّلطان، وهم الحُرَّاسُ، الواحد حَرَسيٌّ؛ لأنَّه قد صار اسم جنس فنسب إليه. ولا تقل حارس إلا أن تذهب به إلى معنى الحِراسَةِ دونَ الجنسِ. والحَريسَةُ: الشاةُ تُسْرَقُ ليلاً. واحْتَرَسَها فلانٌ، أي سَرَقَها ليلاً.

المبحث الأول(التصنيف):

إذ يعدّ التصيف الحارس الأول للمواد المعجيمة، وهو السياج الذي يحيط بمواد اللغة، فهو الذي يضم المفردات بعضها مع بعض، وكلما تعددت ـــ دون شك ـــ طرائق الترتيب كانت أشمل وأوسع وأحوط على لمّ شتاتِ اللغةِ، فما يفوت هذا المؤلف من مواد، فلا يفوت الآخر؛ وذلك لأنه استعمل طريقة مغايرة في التصيف، فضلا عما يضيفه من دعم ونقد للنص، فلو جئنا إلى معجم (العين) للخليل[11] ـــ بعدّه الرائد الأول الحاصل على سبق التأليف ـــ لوجدنا نظامه نظامًا رياضيًا، إذ لا يدع شاردة ولا واردة إلا وجاء بها؛ لكنَّ الحقيقة أنه قد فاته الكثير بين مهمل ـــ حسب وصفه ـــ وآخر لم يطلع عليه؛ لأنه بشر مهما علا كعب علمه ونصعت بصيرة قلبه، ليأتي مِن بعده مَنِ استدرك عليه، وقد وجد الكثير من المهمل مستعملا، أو مما أفادنا به من دلالات جديدة، وخير دليل على ذلك الموازنة بين معجمي (العين) و(تهذيب اللغة)؛ إذ نجد أن (التهذيب) أوسع وأشمل من (العين), على الرغم من استعمال الأزهري تصنيف الخليل ذاته، وهكذا الحال إلى أن نصل إلى (تاج العروس من جواهر القاموس) الذي يعدُّ أوسع المعجمات العربية التي سبقته، وكل ترتيب اعتُمِدَ لغاية قصدها مؤلف المعجم.

فاللغة[12] ـــ كما وصفها الدكتور مصطفى جواد ـــ" كالعين الجارية الغزيرة العد، يتدفق منها الماء المعين، فجديدها ممتزج بقديمها، وجريانها مستلزم لتجدد مائها"، فاللغة تخضع لما يخضع له أيُّ شيءٍ ينالُه التطور، فلذلك فهي تحتاج حماية وقيودًا للحفاظ على هُويتها.

ويقول الدكتور نعمة رحيم العزاوي[13]: ونحن لا نشك في أن حماية اللغة من أهم واجبات الناقد اللغوي؛ لأن التفريط فيها، وفتح الباب على مصراعية أمام عوامل التغيير معناه القضاء على اللغة.

أما التصنيفات التي رُتبت بها المعجمات، فهي متعددة فمِن أصحاب الرأي في هذا المضمار من جعلها على هيئة مدارس[14]:

الأولى: مدرسة الخليل (المدرسة الشمولية) التي أقيمت معجماتها على الترتيب الصوتي (حسب مخارج الحروف) ونظام التقليبات، وتبعه بهذا ابن دريد في جمهرته، والأزهري في تهذيبه، وابن عباد في محيطه، والقالي في بارعه. ونظام هذه المعجمات قائم على أساس البعد الصوتي للحروف بدءًا بأقصى الحلق وانتهاءً بحروف الشفة، وهي كالآتي :الحروف الحلقية (ع،ح،ه،خ،غ)، تعلوها اللهوية (ق، ك)، ثم الشجرية (ج، ش، ض)، ثم الأسلية (ص، س، ز)، فالنطعية (ط، د، ت)، فاللثوية (ظ، ث، ذ)، فالذلقية (ر، ل، ن، ف، ب، م)، وآخرها الهوائية (و، ا، ي)، وسمى الخليل كل حرف كتابا .

---

(9) مقدمة الصحاح:5.

(10) الصحاح:916/3.

(11) لقد تركنا تعريف الأسماء، وذلك لسببين: أولهما: معظم الأسماء معروف ومشهور، وثانيهما: لم يختص هذا البحث بالتحقيق، فضلا عن ذلك طلبا للاختصار .

(12) مصطفى جواد وجهوده اللغوية:52 .

(13) النقد اللغوي بين التحرر والجمود:62.

(14) الصحاح:1/ ر .

الثانية: مدرسة القاسم ابن سلام،(المدرسة الموضوعية) ونهج منهجه ابن سيده في مخصصه، والثعالبي في فقه اللغة وغيرهم، وقد تبع أصحاب هذه المدرسة النظام المعنوي القائم على تصنيف الكلمات حسب موضوعاتها، ومعانيها مثل (خلق الإنسان، الطعام، الشراب.....).

الثالثة: مدرسة الجوهري (المدرسة الانتقائية)، ونسج على منواله الفيروزأبادي في القاموس، وابن منظور في لسان العرب، والصغاني في التكملة والذيل والصلة، وفي مجمع البحرين، وفي العباب، استعمل هؤلاء المؤلفون نظام الباب والفصل[15]؛ إذ نراهم جعلوا لكل حرف بابا خاصا به، ولكل باب ثمانية وعشرون فصلا، فلو أخذنا كلمة (سمر) لوجدناها في باب الراء، فصل السين، مستعملا النظام الألفبائي في الباب والفصل، وربما نستطيع تسميته بـ(الألفبائي المقلوب)؛ لأنه تعامل مع الحرف الأخير من الكلمة بعد تجريدها من الزوائد، فلو جئنا إلى أول كلمة في الصحاح، لوجدناها (أجأ)، ثم تليها كلمة (آء) ثم كلمة (بأبأ)....

الرابعة: مدرسة البرمكي (المعجمات الميسرة)، وتبعه الزمخشري في أساس البلاغة، ثم ألفت عشرات المعجمات على هذا المنهج الذي صار أسلوب العصر الحاضر في تأليف المعجمات، انماز تصنيف هذه المدرسة بسهولة ترتيب مواده، إذ من السهل أن تجدَ ما تبحث عنه من مواد .

ومنهم من وصفها بقوله: مراحل تطور المعجم العربي:

الأولى: مرحلة النظام الصوتي ونظام التقليبات الخليليَّين.

الثانية: مرحلة النظام الألفبائي الخاص (جمهرة اللغة لابن دريد) الذي جمع بين نظام الألفبائي والتقليبات، نجد أن صاحب الجمهرة اتخذ مسارا وعرا، فأنت لا تكاد تجد ضالتك من مواد اللغة إلا بشق الأنفس؛ لكنه في نهاية الأمر قد أضاف وعلَّق ونقد .

الثالثة: مرحلة نظام القافية الذي ابتدعه الجوهري.

الرابعة: مرحلة النظام الألفبائي العادي.

الخامسة: مرحلة النظام الألفبائي النطقي (رُتبت ألفاظ هذه المعجمات حسب الحرف الأول ثم الذي يليه دون تجريدها من الزوائد ومن هذه المعجمات (المنجد، والرائد) .

يمثل هذا المزيج من التصنيفات نسيجا لغويا رائعا، وسورًا حصينًا ليلتف حول تراكيب اللغة وموادها، بعدِّها الركن الأهم في الحفاظ على هُوية المجتمع العربي.

المبحث الثاني(الرواية):

النص المروي هو الذي يمتلك هالة من القداسة والعناية، فضلا عن إثارة المتلقي أو القارئ، وخاصة إذا ما كان قائله من الأعراب الأقحاح، أو الرواة الثقات أمثال الأصمعي، وأبي زيد، وابن السكيت، وغيرهم، فبذلك يصنع المعجميُّ لمعجمه حِرزا آمنا يحميه من عبث العابثين من التصحيف والتحريف.

غلب الأصمعي ـــ من حيث الحضور ـــ غيرَه من الرواة، إذ نراه أخذ عنه ما تجاوز التسعمائة نص، إذ لو جُمعت هذه النصوص لكانت كتابا قائما بذاته، ربما لتقارب المنهجين، فهما يعتمدان الفصيح والأفصح في التعامل مع النصوص في سوق الألفاظ، وهو الذي عُرف عنه[16] " ولعه بالجيد المشهور ويضيق بما سواه"؛ لكن كان لابن جني[17] رأيٌ آخر تجاه منهج الأصمعي بقوله:" ومعلوم "كم قدر ما حذف من اللغة، فلم يثبته؛ لأنه لم يقو عنده؛ إذ لم يسمعه".

قال الجوهري[18]: " قال الأصمعي: الصَّاءَةُ مثال الطاعة: ما يخرج من رَحِمِ الشاةِ بعد الولادة من القَذَى، يقال: أَلْقَتِ الشاةُ صاءَتَها، وصَيَّأْتُ رأسي تَصْيِيئًا، إذا غَسَلْتَهُ، وثَوَّرْتَ وَسَخَهُ ولم تُنْقِهِ"

نلحظ هنا كيف دعت بالجوهري الحاجةُ ليعتمد قول الأصمعي ليوضح معنى مادة (صوأ)، من دون تعقيب عليه، فهو دليل على القناعة المطلقة بما قال.

---

(15) ينظر المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطوّرها:106 .

(16) لهجة أسد:172.

(17) الخصائص:314/3.

(18) الصحاح:59/1.

قال الجوهري[19]: "ودارٌ خَرِبَةٌ، وأخربها صاحبُها. وخَرَّبوا بيوتَهم، شُدِّدَ لِفُشُوِّ الفعلِ أو للمبالغة. والخارب: اللصّ. قال الأصمعي: هو سارق البُعْرانِ خاصة، والجمع الخُرَّابُ".

خصص الأصمعي دلالة الخارب ليجعلها لسرقة البُعران، ليأتي هذا التخصيص متماشيا مع تخصيص الدلالات، كما في السارق واللص، إذ ثمة فرق دلالي دقيق بيهما، فالسارق يسرق دون علم أو أذى ظاهر، أما اللص، فهو الذي يسرق المتاع على مرأى العين، فهذا أشد ألما من سابقه، فضلا عن ذلك بين لنا كيف تُشَكَّلُ لفظة (البُعْرانِ) بضم بائها على خلاف ما ننطقه اليوم بكسر الباء فيها، التي ربما تعود إلى بعض اللهجات العربية القديمة.

قال الجوهري[20]:" وتذأبت الريحُ وتَذاءَبَتْ بمعنىً، أي اختَلَفَتْ وجاءتْ مرّةً كذا ومرة كذا. قال الأصمعي: أُخِذَ من فِعْلِ الذئب؛ لأنه يأتي كذلك". تعليقة في محلها من الأصمعي؛ نراه قارب بين الصورين، ففي الهواء وهو يتمايل فكأنه يحمل المكر أو المراوغة، أما في الذئب فهو يحمل المكر والمراوغة؛ فضلا عن الجوع الذي يرافقه، وربما دافع الجوع الذي يرافقه هو من يجعله يستعمل ذكاءه، ولهذا قيل في الدعاء أصابه الله بداء الذئب.

ثم ليأتي بعده يعقوب (ابن السكيت)، إذ تجاوزت نصوصه السبعمئة نص، فمن ذلك قال الجوهري[21] رواية عنه: "الثُّنْدُؤة للرَّجلِ بمنزلةِ الثَّدْيُ للمَرأة، وقال الأصمعي: هي مَغْرِز الثَّدْي، وقال ابنُ السِّكِّيت: هي اللحم الذى حول الثدى، إذا ضممتَ أولها همزت - فتكون فُعْلُلَةً - وإذا فتحته لم تهمز، فيكون فَعْلُوَةً، مثل: قَرْنُوَةٍ، وعَرْقُوَةٍ".

جاء الأصمعي بدلالة دقيقة بقوله: هي مَغْرِز الثَّدْي، أما ابن السكيت، فنراه جاء بوجهين للفظ من حيث البِنْيةِ مرة بهمزٍ وأخرى بتخفيف مع مراعاة الوزن، إذ نراه أعطاه وزنين مختلفين، وهذا يدل على سَعة اطلاعه ومعرفته الصرفية، فضلا عن ذلك تبيَّن لنا أن أيَّ تغيير يطرأُ على اللفظ يتبعه تغيير في الوزن، وهذه من خفايا التغييرات الصرفية، التي ربما تغيب عن المختصين بهذا المجال.

قال الجوهري[22]:" وأنْتجتِ الفرسُ، إذا حانَ نَتاجُها، وقال يعقوب: إذا اسْتَبان حَمْلُها".

ربما تذهب هاتان الدلالتان بتسمية الشيء قبل أوانه من باب التفاؤل، وذلك بظهور إشاراته التي تدل عليه

أما عن أبي زيد[23] فقد أتى بالمرتبة الثالثة، إذ أخذ عنه ما يربو على الخمسمئة نص، ولولا قيمة تلك النصوص لما أودعها الجوهريُّ صحاحه، وفيما يتضح أنه كان أكثر تسامحا في تعامله مع مفردات اللغة، فمن ذلك ما جاء عن السيوطي قوله[24]:" قال أبو حاتم: كان الأصمعي يقولُ أفصحُ اللغات ويُلغي ما سواها وأبو زيد بجعلُ الشاذ والفصيح واحدا فيجيز كلَّ شيء قيل.

قال: ومثال ذلك أن الأصمعي يقول: حزَنني الأمر يحزُنني ولا يقول أحزنني.

قال أبو حاتم: وهما حائزان؛ لأن القراء قرؤوا ((لا يَحزُنهم الفَزَعُ الأَكْبَرُ)) و((ولا يُحْزِنهم)) جميعا بفتح الياء وضمها ".

قال الجوهري[25] عن أبي زيد:" أبو زيد: الحَطِيءُ على فِعيل: الرُّذال من الرجال، يقال حطئ نطئ، إتْباعٌ له".

أفادنا نص أبي زيد أكثر من فائدة، إذ نراه جاء بالكلمة ووزنها، فأكثر الخاصة قبل العامة لا يكتبوها بصورة صحيحة؛ إذ هم لا يفرقون بين (حطئ) و (حطيء)، فالأولى ثلاثية على وزن (فعل) والثانية

---

(19) الصحاح: 119/1.

(20) الصحاح: 125/1.

(21) الصحاح: 38/1.

(22) الصحاح: 343/1.

(23) الذي يتتبع نصوص أبي زيد يجد معظمها قد تناولت الهمز، وهذا مما يعود إلى كتابه المشهور بـ(الهمز) .

(24) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: 185/1 .

(25) الصحاح: 44/1.

رباعية على وزن(فعيل)، فضلا عن تعضيدها بإتباع لها، وهذا دليل على تداولها. قال الجوهري[26]:" والسَّرْبُ، بالفتح: الإبل وما رَعَى من المالِ، ومنه قولهم: " اذْهبْ فلا أَنْدَهُ سَرْبَكَ "، أي لا أَرُدُّ إِبِلَكَ، تذهبُ حيثُ شاءَتْ، أي لا حاجةَ لي فيك. وكانُوا في الجاهليةِ يقولون في الطَّلاقِ: " اذْهَبي فَلا أَنْدَهُ سَرْبَكِ " فتُطَلَّقُ بهذهِ الكلمَةِ. والسَّرْبُ أيضًا: الطَّريقُ، عن أبى زيدٍ".

نال أبو زيد حظًّا وافرا من ثروة الجوهري اللغوية، إذ تراه لا يتريث بالمجيء بقولٍ لأبي زيد حيث يُستدعى وجوده بإضافة أي دلالة يراها الجوهري مكملة لنصه، أو مضيفة شيئا جديدا .

ثم يلي هؤلاءِ الرواةَ الخليلُ؛ إذ نرى الجوهري قد أخذ عنه أكثر من مئة نص، فمن ذلك قوله[27]

"والقارب: سفينةٌ صغيرةٌ تكونُ مع أصحابِ السُّفُنِ البحريَّةِ تُسْتَخَفُّ لحوائِجِهم. قالَ الخليلُ: القارِب: طالب الماء ليلاً، ولا يقال ذلك لطالب الماء نهارًا".

جاء بقول الخليل ليضيف دلالة جديدة ـــــ مع خصوصية الاستعمال ـــــ تبعد كثيرا عن الدلالة الأصلية من حيث الظاهر، أما من حيث باطنها فكلاهما يتعامل مع الماء.

ومن ذلك قوله[28]:"

وجَسَسْتُ الأخبارَ وتَجَسَّسْتُها، أي تفحَّصت عنها. ومنه الجاسُوسُ. وحكى عن الخليل: الجَواسُ: الحَواسُ. وقال ابن دريد: قد يكونُ الجَسُّ بالعين".

ربما يعود أصل ذلك إلى تعدد اللهجات، أي التبادل بين الحروف، وهذا باب واسع لا يمكن إنكاره، قال أحمد بن سعيد قشاش[29]: كل لفظين اختلفا في حرف واحد، واتفقا في سائر الحروف هو من باب الإبدال، والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورًا مهموزة، وطورًا غير مهموزة، ولا بالصاد مرة، وبالسين أخرى ....

الجسُّ بالعين وبالأُذن هو أشبه ما يكون بتبادل الأدوار بين أعمال الفريق الواحد، فالحواس فريق واحد.

ثم يأتي ابن دريد بأقل من سبعين نصًّا، فمن ذلك قول الجوهري[30] عن ابن دريد:" القَيْقَبُ والقَيْقَبانُ: خشب تُتَّخذ منه السروج. قال ابن دريد: هو بالفارسية آزاذ درخت".

نلحظ في هذا النص كيف استعان بقول ابن دريد ـــــ وكان له باع طويل في معرفة الكلام الأعجمي ـــــ ليجد لها مقابلا في الفارسية، ومثل هذه المقابلات تحتاج إلى دراية كبيرة تتجاوز مرامي العربية وحدودها.

المبحث الثالث (الإعجام):

انماز العرب الأوائل بملكة فطرية دونما الحاجة إلى التعلم للتمييز بين الأصوات المتشابهة في الشكل إذا كانت بنقط أو قد خلت منها، فمن ذلك الجيم والحاء والخاء، فهذه الثلاثة تتناوب النقط عليها لتحددها إذا ما كانت جيمًا أو حاءً أو خاءً، ومثل ذلك الباء والتاء والثاء، وكل ذلك له أثره في شكل اللفظ ودلالته، يُبنى عليه حكم ومقتضى، وهذا ما يسمى بالعلم الحديث بالفونيم[31]؛ إذ يُعَدُّ أصغر وحدة صوتية قادرة على التفريق بين معني الكلمات، وليست حدثا صوتيا منطوقا بالفعل في سياق محدد .

قال الجوهري[32]: " تَهَتَّأَ الثوبُ: تَقَطَّع وبَلِيَ، بالتاء معجمة بنقطتين من فوق، وكذلك تَهَمَّأَ الثَّوْبُ بالميم".

لربما لندرة استعمال مثل هذه الألفاظ حرص اللغويون[33] على تقييد بنية اللفظ، إذ نرى ذلك في قول الجوهري (بالتاء معجمة بنقطتين من فوق)، وقد تتبادل النقاط الأماكن في اللفظ الواحد، ومثال ذلك ما

---

(26) الصحاح: 146/1.

(27) الصحاح: 199/1.

(28) الصحاح: 913/3.

(29) ينظر الإبدال في لغات الأزد دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث:432.

(30) الصحاح: 204/1.

(31) علم الأصوات(كمال بشر):70

(32) الصحاح: 82/1.

جاء في قوله تعالى:﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6] فرسم هذه الكلمة بتغيير موقع النقط (فتبينوا) يحتمل القراءتين: فتبينوا- فتثبتوا، ويجب أن نعلم أن اختلاف القراءات اختلاف تنوع، وليس اختلاف تضاد[34]، إذ نرى تقارب الدلالة بين التثبُّت والتبيانِ.

قال الجوهري[35]: " الجَرْدَبانُ (وبضم الجيم والدال) بالدال غير معجمة ، فارسيٌّ معرَّبٌ، أصله كَرْدَهْ بانْ، أي حافظُ الرغيفِ، وهو الذي يضع شماله على شئ يكون على الخوان كي لا يتناوله غيره ".
صورة تمثل الحرص الشديد (المبالغة) الذي تجاوز حُدود العرف الأدبي والاجتماعي، فضلا عن ذلك ما ذكره الجوهري في مقدمة كتابه أنه سيختار ما صح عنده من الألفاظ، هل اللفظ الفارسي مما صح عنده، فهذا يقودنا إلى أمرين: أولهما أن لفظ الجردبان قد ورد في الأشعار القديمة[36]، وثانيهما أنه أراد أن يزين معجمه بالألفاظ غير العربية ليبين للقارئ أن مورثه اللغوي تجاوز الكلام العربي.
قال الجوهري[37]:" الحِضْبُ بالكسر: صوت القَوسِ، والجمع أحضاب. والحِضْبُ أيضًا: الذكر من الحيات. قال أبو سعيد: هو بالضاد معجمة، وأنشد لرؤبة[38]:

وقد تَطَوَّيْتُ انْطِوَاءِ الحِضْبِ[39]

والحَضَبُ لغةٌ في الحَصَبِ. ومنه قرأ ابنُ عباس[40]: (حَضَبُ جَهَنَّم). قال الفراء: يريد الحصب. قال: وذُكر لنا أن الحَضَبَ في لغةِ أهلِ اليمنِ الحَطَبُ. وكلُّ ما هيَّجْتَ به النَّارَ وأوقدتَها، فهو حَضَبٌ".
نجد أبا سعيد كيف جاء ببيت من الشعر ليقوي مدلولة، ثم جاء بقراءة ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ وبعد ذلك انتقل بها إلى معنًى جديد ألا وهو الحطب، الذي أُسند إلى أهل اليمن.
يتضح لنا بعد ذلك كيف أضاف الإعجام وغير الإعجام مدلولات جديدة، فضلا عن القراءة.

قال الجوهري[41]:" الخَوْبَةُ: الأرض التي لم تُمْطِرْ بين أرضين ممطورتين. يقال: نزلنا بِخَوْبَةٍ من الأرض، أي بموضعٍ سَوءٍ لا رِعْيَ بها. وقال أبو عمرو: إذا قلت أصابَتنا خَوْبَةٌ، بالخاء المعجمة، فمعناه المجاعة، وإذا قلت أصابتنا حَوبة، بالحاء غير معجمة، فمعناه الحاجة ".
فيما يبدو أن الفرق بينهما يسير؛ لكن (الحوبة) أقل أثرًا على الإنسان، فقد يكون وقتها قصير وضررها مؤقت وغير بليغ، أما (الخوبة) التي هي المجاعة، فقد بلغت في الإنسان مبلغا عظيما، مع استدامة الضرر الذي يحتاج إلى وقت طويل للتعافي من ضرره.
المبحث الرابع(التشكيل أو الحركة[42]):

---

(33) قال الأزهري:" أَبُو عبيد: تَهتَّأَ الثوبُ وتَهمّأ وتَفَسّأ إذا انْقَطع وبَلِي، حَكاهُ عَن الكسائيّ". تهذيب اللغة:210/6.

(34) مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص:47.

(35) الصحاح: 99/1 .

(36) جاء في البصائر والذخائر (إذا ما كُنْتَ في قَومٍ شَهاوَى فلا تَجْعَلْ شِمالَكَ جَردَبالا): 52/1 .

(37) الصحاح: 112/1– 113.

(38) ديوانه:16 .

(39) وبعده: بين قَتادِ رَدْهَةٍ وشِقْبِ. المحقق.

(40)المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها:66/2.

(41) الصحاح: 123/1.

(42) استعمالنا لمصطلح (الحركة) اقتداء بما جاء عن الدكتور كمال بشر فهو يقول:" قد آثرنا في معظم أعمالنا استخدام المصطلح (الحركات) للدلالة على الصوائت قصيرها وطويلها تمشيا مع العرف السائد المشهور بيننا الآن، والمعروف أن التراث اللغوي القديم في مجمله يقصر استخدام (الحركات) على الفتحة والكسرة والضمة (الحركات القصار) دون حروف المد (الحركات الطوال) ..... علم الأصوات 425 .

اعتنى قدماء اللغويين باللغة عناية فائقة، إذ وصل بهم الحرص أن يذودوا عنها في حياتهم وبعد مماتهم، إذ نراهم وضعوا حواجزَ يجب على القارئ أن يقف عندها، ولم يقف الحرص عند القدماء فحسب، بل بقي ملازما أهل اللغة ومحبيها، ولا بد لمن يتصدى لحماية اللغة من" التفريق بين ما هو خطأ وانحراف، وما هو توليد وتطور، فكلاهما حدث جديد في اللغة، وتبديل جديد في بعض ظواهرها؛ ولكن الخطأ تبديل يخالف خصائص اللغة، وسنن نموها، وناموس حياتها، وقواعد فطرتها، ويخل بنظامها، وأما التجديد والتطور، فهو تبديل وإحداث يجري وفقا لسننها وينساق مع فطرتها، وينقاد لقواعدها، ويوافق روحها وخصائصها " [43] .

وكذا الحال عند الدكتور مصطفى جواد وكتابه المشهور (قل ولا تقل) فقد حشا كتابه بتصحيح أغلاط وقع بها الخاصة قبل العامة، ومن هذا المنطلق وقفنا في هذا المبحث على حماية الكلمة من حيث حروفها وتشكيلها داخل بنية الكلمة المنفردة؛ إذ نأى اللغويون بلغتهم التي نالت حبهم وشغفهم عن أن ينالَها الخطأُ:

بين التحريك بـ(الفتح) والتحريك بـ(الكسر):

قال الجوهري[44]: " خَلأتِ الناقةُ خَلأً وخِلاءً بالكسر والمد، أي حَرَنَتْ وبَرَكَتْ من غير عِلَّةٍ، كما يقال في الجمل: أَلَحَّ، وفى الفرس: حَرَنَ ".

نلحظ هنا كيف أضاف لنا تحريك الكسر مصدرًا إضافيًّا، فضلا عن ذلك كيف ميز لنا بين التشكيلين، إذ لو شُكِّلت (خَلاءً) بالفتح لكان لها معنى (الفضاء الواسع الخالي)، وهذا لا يمت بصلة بالنص، ثم يسترسل ليبين لنا خصوصيات الاستعمال على غرار ما جاء في كتاب (فقه اللغة وسر العربية) للثعالبي.

ومما نجد مثال ذلك مما جاء في قوله تعالى" ﴿فسبح بالعشي والإبكار﴾(آل عمران، آية:41)

فالإبكار هنا من طلوع الفجر إلى الضحى، أما في قوله تعالى:﴿ ثيبات وأبكارًا﴾(التحريم،آية:5) ، فقد قصد بها البنت العذراء التي لم يمسسْها رجلٌ، إذ لا صلة بين الدلالتين، فهما بعيدان عن بعضهما كل البعد.

قال الجوهري[45]: " وضنأَ المالُ: كَثُرَ. وأضنأ القوم: كثرت ما شيتُهم. الأُموي: الضِّنْءُ بالكسر: الأصل والمَعْدِن. يقال: فلان في ضِنْءِ صِدْقٍ، قال: والضَّنْءُ بالفتح: الولد، مهموزان. وقال أبو عمرو: الضَّنْءُ: الولد، يُفتح ويُكسر ".

وَقَالَ الأُمَوِيّ[46]: قَالَ أَبُو المفضّل أعرابيٌّ من بني سَلامة من بني أَسد قَالَ: الضَّنْءُ: الْوَلَد، والضِّنْءُ: الأَصْل.

يُفهَمُ من قول الأموي أن اللفظتين تعودان إلى لهجة بني أسد، ربما هذا مما تطرق إليه الدكتور علي ناصر غالب[47] بقوله " لم يعتنِ اللغويون باللهجات إلا حيث يطلبها الشاهد وتقتضيها النادرة في عرض كلامهم" لا وجه شبه بين (الأصل والمَعدِن) والولد إلا في تأويل بعيد على أن الولد مخلوق من أصل الوالد ومَعدِنه.

قال الجوهري[48]: " ظَمِئَ ظَمَأً: عَطِشَ. وقال تعالى: ﴿لا يُصيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ (التوبة، آية:120)، والاسم الظِمْءُ بالكسر".

باختلاف التشكيليين الفرق بيّنٌ بين المصدر والاسم، فضلا عن ذلك كيف رُسمت الهمزة على الحرف وعلى السطر متأثرة بحركتها وحركة سابقها.

قال الدكتور مصطفى جواد[49]:" والعربية لغة جسيمة عظيمة قويمة لأمة كريمة عظيمة، وقد حافظت على قوامها ونظامها وكلامها بقرآنها العزيز، وتراثها الأدبي البارع طوال العصور التي انصرمت بين زمن الجاهلية وهذا العصر" .

---

(43) خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتوليد:67.

(44) الصحاح: 48/1.

(45) الصحاح: 60/1.

(46) تهذيب اللغة:34/12.

(47) لهجة أسد:40.

(48) الصحاح: 61/1.

(49) قل ولا تقل: المقدمة:1.

قال الجوهري[50]: " أبو زيد: ما أفْتَأتُ أذكرُه، وما فَتِئْتُ أذكُره، وما فَتَأتُ أذكره، بالكسر والنصب، أي مازلت أذكره، وما برحت أذكره، لا يُتَكلَّم به إلا مع الجَحَدِ. وقوله تعالى: ﴿تالله تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يوسفَ﴾(يوسف، آية:85) أي ما تفتأ "

يبدو أن الاستعمال الثاني (فَتَأتُ)، هو الذهاب إلى ما هو أيسر قي النطق، وهذا " ما تؤيده القوانين الصوتية الحديثة، التي تجعل (الضمة والكسرة) أصواتا ضيقة تقابلها(الفتحة) التي هي الصوت المتسع[51]".

تظهر المساواة في الاستعمالين، إذ لا ترجيح بينهما .

بين الفتح والسكون:

قال الجوهري[52]:" الأَدَبُ: أَدَبُ النَّفْسِ والدرسِ، تقول منه: أدُبَ الرجلُ بالضم فهو أديبٌ، وأدبته فتأدب. وابن فلان قد استأدب، في معنى تأدَّب، والأَدْبُ: العَجَبُ".

.

ربما نستطيع الربط بين الأدَب والأدْب بعدِّ الثاني يملك دلالة العجب، إذ نستطيع القول: إنَّ لفلانٍ أدبا يُتعجَّبُ مِنه، وقد يجد الإنسان شخصا يثير في النفس الدهشة والعجب مما يتحلى به من الأخلاق، فلو عدنا إلى أخلاق النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وكيف قلب الموازين مع المرأة ـــ التي لا تعرفه ـــ وقد حمل عنها حزمة الحطب وهي تنصحه بألا يتبع هذا الرجل الذي يدعي النبوة؛ ولكن سرعان ما انقلبت موازين تفكيرها بأن آمنت به فور علمها به، أليس هذا بأعجب العجب؟

المبحث الخامس(الوزن):

لم يغفلِ اللغويون عن الجانب الصرفي، فهو الجانب الثاني الذي استعملوه لحماية ما يرونه معرَّضًا للتغيير، لذا جاءتِ الأوزان الصرفية لتحافظ على جميع أركان الكلمة أوترتيب حروفها، وخير مثال على ذلك ما يقال عنه ما يراعى وما لا يراعى؛ إذ تحدث الكثير من الإشكالات الصرفية في بعض الكلمات التي فيها إعلال، أو إقلاب، أو حذف، أو في تغير في الصيغة:

فَعلال:

قال الجوهري[53]: " رجل تَأتاء على فَعلال، وفيه تأتأة: يتردد في التاء إذا تكلم ".

أفادنا الوزن بأن أعاد كلمة (تأتأة) إلى جذرها الحقيقي التي هي رباعية بالأصل، وأن الهمزة فيها حرف أصلي مع إظهار الحرف الزائد فيها.

مَفعل ومِفعل:

روى الجوهري عن أبي زيد قائلا[54]: ": شقأَ شعرَه بالمشط شقأ: فرَّقه. قال: والمَشقأُ: المَفْرِقُ، والمِشقأُ بالكسر: المشط" .

يعد الاشتقاق من أكبر وسائل نمو اللغة[55]، إذ يعطي المصدر الميمي مرونة في التعبير، فضلا عن إحلاله محل المصدر الأصلي دون تغيير في المعنى الأساسي، مع إضافة الدقة والجمال في التعبير عن الحدث .

الفرق بيّن بين الكلمتين، فبالفتح مفرق الشعر، وبالكسر اسم آلة التمشيط، لم يخلُ التشكيل من الفائدة، إذ نراه فرَّق بين اللفظتين، فضلا عن ذلك بدت العلاقة بينهما علاقة الآلة بعملها، وهذه علاقة سببية.

فعِل وأفعلَ:

---

(50) الصحاح:62/1.

(51) من أسرار اللغة:33.

(52) الصحاح: 86/1.

(53) الصحاح: 38/1 .

(54) الصحاح: 57/1.

(55) ينظر النقد اللغوي بين التحرر والجمود:52

قال الجوهري[56]: " وتَرِبَ الشَّيْءُ بالكسر: أصابه التُّرابُ. ومنه تَرِبَ الرجل: افتَقَرَ، كأنَّهُ لَصِقَ بالترابِ. يقال: تَرِبَتْ يَداك! وهو على الدُّعاءِ، أي لا أصبت خيرا.... وأَتْرَبَ الرَجُلُ: استَغْنَى، كأنَّه صار له من المالِ بقَدْرِ الترابِ".

بان التضاد بين الاستعمالين بين الفقر والغنى، وذلك باستعمال صيغتي (فعِل وأفعَل)، على الرغم من أن جذريهما واحد، وهذا ما يؤيده كلام ابن درستويه[57] بقوله:" ولا يكون فعل وأفْعَل بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، فأما من لغة واحدة فمحالٌ أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظنُّ كثير من اللغويين والنحويين، وإنما سمعُوا العرب تتكلمُ بذلك على طِباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة، وعلى ما جرت به عادتُها وتعارفُها ولم يعرف السامعون تلك العلة فيه والفروق، فظنوا أنهما بمعنى واحد، وتأوَّلُوا على العربِ هذا التأويل من ذات أنفسهم، فإن كانوا قد صدَقوا في رواية ذلك عن العرب، فقد أخطأوا عليهم في تأولهم ما لا يجوزُ في الحكمة، وليس يجيء شيء من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين كما بينا، أو يكون على معنَيَيْن مختلفين أو تشبيه شيء بشيء.

فعيل:

قال الجوهري[58]: " أبو زيد: الحطيء على فعيل: الرذال من الرجال، يقال حطيء نطيء، إتْباعٌ له".

جاء المعيار الصرفي في محله، لأن مَن يدعون مَن هم من أهل اللغة أكثرهم لا يميزون في الكتابة بين الكلمة التي تنتهي بهمزة مثل قارئ والكلمة التي تنتهي بياء وهمزة, فالوزن لا يُضِيّعُ من أصوات الكلمة شيئا، فكلمة قارئ جاءت الهمزة فيها على طرف الياء، فهما صوت واحد، أما في كلمة حطيء فهما صوتان, ومثل هذا ما يحدث مع كلمة (شيء)، التي تُعد أكثر تداولا على الألسنة، وبهذا قد وضع حرزًا آمنا لأصوات الكلمة.

افتعال

قال الجوهري[59]: " واصطحب القومُ: صحِب بعضُهم بعضًا، وأصله اصْتَحَبَ؛ لأن تاء الافتعال تتغير عند الصاد مثل اصطحب، وعند الضاد مثل اضطرب، وعند الطاء مثل اطَّلَبَ، وعند الظاء مثل اظَّلَمَ، وعند الدال مثل ادَّعَى، وعند الذال مثل اذَّخَر، وعند الزاى مثل ازدجر؛ لأن التاء لانَ مَخْرَجُها فلم توافق هذه الحروفَ لشدة مخارجها، فأُبْدِلَ منها ما يوافقها لتخفَّ على اللسان ويَعْذُبُ اللفظُ به ".

نلحظ هنا كيف تأثرت الحروف بالمجاورة، إذ نرى حرف التاء قُلب إلى طاء مرتين بمجاورته حرفي الصاد والضاد، وإلى إدغام تامّ مع حرفي الطاء والظاء(اطَّلَبَ، اظَّلَمَ) ، ففي هذين المثالين لربما يذهب القارئ إلى أن وزنهما (افَّعل)، لذا يستوجب على جامع النصوص أن يقيد مثل هذه الألفاظ بالأوزان للحفاظ عليها من اللبس، أما التاء في (افتعل) مع الزاي، فقد أُبدلت دالا لتوافقهما في الجهر، ولكونهما من مخرج واحد (الدال والتاء).

مفعول:

قال الجوهري[60]: " دُفْتُ الدواءَ وغيره، أي بَلَلته بماء أو بغيره، فهو مَدُوفٌ ومَدْوُوفٌ، وكذلك مِسْكٌ مَدُوفٌ، أي مبلول، ويقال مسحوق، وليس يأتي (مفعول) من ذوات الثلاثة من بنات الواو بالتمام إلا حرفان: مِسْكٌ مَدْوُوف وثوبٌ مَصْوُون، فإن هذين جاءا نادِرَيْنِ. والكلامُ مَدُوفٌ ومصونٌ، وذلك لثقل الضمة على الواو، والياء أقوى على احتمالها منها، فلهذا جاء ما كان من بنات الياء بالتمام والنقصان نحو ثوبٌ مَخِيْطٌ ومَخْيُوطٌ ".

---

(56) الصحاح: 90/1ـــــ91 .

(57) تصحيح الفصيح: 165ـ 166 .

(58) الصحاح: 44/1.

(59) الصحاح: 162/1.

(60) الصحاح: 1361/4.

تبدو الحاجة واضحة لوضع الوزن في مثل هذه الاشتقاقات، ليرى القارئ التغييرات التي طرأت على أصل الفعل، وخاصة الذي لا يملك الدراية الكافية في الدراسات الصرفية، وبهذه الأوزان تتم معالجة ما يمكن أن يقع به القارئ أو الباحث مستقبلا،أي: لمثل هذه الكلمات وزنان، بحسب المتداول والنادر .

قال الزبيدي[61]:" صون: (صانَهُ صَوْنًا وصِيانًا وصِيانَةً)، بكسْرِهما، (فهو مَصُونٌ) على النَّقْصِ وهو القِياسُ، (ومَصْوُونٌ) على التَّمامِ شاذٌّ لا نَظِيرَ له إلاَّ مَدْوُوفُ ومَرْدُوف لا رابِعَ لها، وهي لُغَةٌ تَمِيمِيَّةٌ.

اختيار الصعب في الاشتقاق ينم عن شخصية المتكلم المعرفية وبيئته، فهذان العاملان لهما تأثير كبير في اختيار الألفاظ، أو اختيار الصيغ والاشتقاقات .

ولا يقالُ : أَصانَهُ فهو مُصانٌ ، وهي لُغَةُ العامَّةِ، وكذا قوْلُهم : مُنْصانٌ ، فإنها مُنْكَرَةٌ ".

فُعُول:قال الجوهري[62]: "ومنه قولهم: بئرٌ ذاتُ دَرْءٍ، وهو الحَيْدُ. وطريق ذو دُرُوءٍ على فُعُولٍ، أي ذو كسور وجِرَفَةٍ ".

حدد الوزن (فُعُولٍ) أن له صيغة جمع واحدة، ولا يمكن أن تتعداها لغيرها.

فَعْلَل:

قال الجوهري[63]: " رَأْرَأَ السرابُ: لمع، ورَأْرَأَتِ المرأة بعينها: برقَتْ. أبو زيد: رأرأت عيناه: إذا كان يُديرُهما. وهو رجل رَأْرَأُ العين، على فَعْلَلٍ ".

جاء وزن(فعلل) ليحافظ على أصل أصوات الكلمة بِعَدِّها رباعية، وليست مزيدة.

فَعُلُولٌ: قال الجوهري[64]: " القَرَبُوسُ للسرج، ولا يخفَّفُ إلا في الشعر، مثل طَرَسُوسَ، لأنَّ فَعْلُولٌ ليس من أبنيتهم ".

قال الخليل[65]:" القَرَبُوسُ: حنو السرج، وبعض أهل الشام يثقله وهو خطأ. ويجمعه: قَرَبابيس، وهو أشد خطأ".

لو وازنَّا بين القولين لوجدنا تضاربًا في الأحكام، إذ نرى أن الخليل لم يُشر إلى أن بناء (فَعْلُول) لا يدخل ضمن إطار الأبنية العربية المُجمع عليها، بل سكت عنه فهو استعمال سليم عنده، لكنه خطأ كلام أهل الشام؛ لكن الجوهري خرَّجَ ما جاء على هذا البناء خارج أسوار الأبنية العربية.

لو وقفنا على كلمة (عُصْفُور) التي تنطقها عامتُنا بفتح العين(عَصْفور) لوجدنا أنفسنا خارج أبنية اللغة على الرغم من وجود هذا في ضرورة الشعر. لا أدري أهذا التحذير مما وقع في ذلك الزمان، أم هو مما توقعوا حصوله، وقد حصل بالفعل.

قال الجوهري[66]: " واليَرْبُوعُ: واحدُ اليَرابيعِ، والياء زائدة؛ لأنَّه ليس في كلامهم فَعْلُولٌ".

نلحظ التماس العذر لِما جاء على وزن فَعلول بقولهم: الياء زائدة، وذلك للحفاظ على القاعدة.

فَعْلُول: قال الجوهري[67]: " بنو صَعْفُوقٍ: خَوَلٌ باليمامة. قال العجاج:

مِن آلِ صَعْفُوقٍ وأتْباعٍ أُخَرْ
من طاعِمِينَ لا يُبالونَ الغَمَرْ"

وهو اسمٌ أعجميٌّ لا ينصرف، للعجمة والمعرفة، ولم يجئ على فَعْلُول شيءٌ غيرُه، وأما الخرنوب فإنَّ الفصحاءَ يضمونه أو يشددونه مع حذف النون، وإنما يفتحه العامة.

---

(61) تاج العروس:318/35.

(62) الصحاح: 49/1 .

(63) الصحاح: 51/1.

(64) الصحاح: 962/3.

(65) العين:252/5.

(66) الصحاح: 1215/3.

(67) الصحاح:1507/4 .

لم يأت انحراف العامة عما تكلَّم به الفصحاء من الفراغ، ربما كان قولهم قياسًا على كلمة صَعْفُوقٍ وأمثالها، ولا سيما مجيؤها في الشعر المعتمد، وهذا مما يضفي لها بعض الغطاء في شرع اللغة.

فعلل:

قال الجوهري[68]: "والتَّنْضُبُ: شَجَرٌ، والتاء زائدة؛ لانه ليس في الكلام فَعْلُلٌ"

يتبين لنا من هذا النص أن الأوزان شِبه متفق عليها بين أبناء الأسرة اللغوية الأوائل، فما جاء على غير ما اتفقوا عليه استخرجوا ما جاء من أصواته، بعدِّه زائدًا على الأبنية المتفق عليها.

المبحث السادس (التمثيل والمنزلة):

أراد المعجميون بشتى الطرائق الحفاظ على ما أودعوه معاجمهم من مواد لغوية، فمن تلك الوسائل نراهم استعملوا التمثيل بصيغ مختلفة كـــ(مثل أو مثال أو مثاله أو بمنزلة)، وقد حذا البلاغيون حذو المعجميين بهذا الأمر، إذ اقتصر أهل المعاجم في تشبيههم على المفردات، بينما كان عمل البلاغيين أوسعَ من ذلك، إذ نجده تجاوز ذلك إلى الجملة أو الصورة، فهي أشبه ما تكون بالتطور التدرجي في التعامل مع مكنونات اللغة، إلَّا أن الغاية الأساسية من ذلك" إخراج الخفي إلى الجلي وإدنائه البعيد من القريب[69] "، فالهدف يكادُ يكونُ واحدًا عند المعجميين والبلاغيين ألا وهو البيان والإيضاح، وهذا يحمل في طياته الحفاظ على اللغة:

قال الجوهري[70]:" وبوَّأْتُ للرجل منزلاً وبوّأته منزلاً بمعنى، أي هيَّأْته ومكَّنت له فيه. واستباءه، أي: اتخذه مباءة. وهو بِبِيئَةِ سُوْءٍ، مثالُ: بِيْعةٍ، أي بحالةِ سوء، وإنه لحسن البيئة" .

أراد الحفاظ على صيغة الكلمة لتبقى على الوزن نفسه (فِعلة)، وقد استعمل حرف(العين) لتقابل حرف(الهمزة)، إذ هما من مخرج واحد، فهما من حروف الحلق، وهذا يُحدث تعثرا في النطق، إذ من الممكن أن تنطق الهمزة عينًا، أو العين همزةً، فضلا عن ذلك التشابه الصوري بينهما.

قال الجوهري[71]:" الثُّقَاءُ على مثالِ القُرَّاءُ: الخردل، ويقال: هو الحُرْفُ، وهو فُعَّالٌ، الواحدةُ ثُقَّاءَةٌ".

جاءتِ المماثلةُ بينَ المفردِ والجمع لكنِ الغاية هي الحفاظ على الوزن من جانب، ولتبقى الهمزة مكتوبة على السطر، فضلا عن تشبيه القليلَ الاستعمال بالكثير.

قال الجوهري[72]:" الجُرْأَةُ مثال الجُرْعَة: الشجاعة، وقد يترك همزه، فيقال: الجُرَةُ مثال الكُرَة، كما قالوا للمرأة: مَرَة "40/1.

اعتمد الجوهري في أغلب تشبيهاته المقاربة المخرجية، وخاصة بين الهمزة والعين، وهذه تكاد تكون سمة بارزة عنده، فضلا عن ذلك أن هذا من نادر الترك، فهل من المعقول أن تدل لفظة الجُرَة كما تدل لفظة الجُرْأَةِ على الشجاعة، ربما يضفي قياسه ـــ على ترك الهمز في كلمة مَرَة بدل مرأة ـــ بعض الشرعية في الاستعمال؛ لكن هذا مما يثير اللبس إذا ما جاء منفردا في الاستعمال.

قال الجوهري[73]:" قال الاصمعي: الحَدَأَةُ: الفأسُ ذات الرأسين، وجمعها: حَدَأٌ، مثل: قَصَبَة وقَصَب".

جاء التشبيه بمحله، فكلمة (قَصَبَة) وجمعها متداولان، فمن النادر أن ينالهما الخطأ في اللفظ على خلاف كلمة (حَدَأَة) وجمعها فهما وعرتان في اللفظ، وخاصة إذا ما خُليتا من التشكيل.

قال الجوهري[74]:" والدِّفْءُ أيضًا: السُّخُونَةُ، تقول منه دَفِئَ الرَّجُل دَفاءَة، مثل كَرِهَ كَرَاهَةً، وكذلك: دَفِئَ دَفَأً، مثلُ ظَمِئَ ظَمَأً "

---

(68) الصحاح:226/1 .

(69) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:214.

(70) الصحاح: 37/1.

(71) الصحاح: 39/1.

(72) الصحاح: 43/1.

(73) الصحاح:43/1 .

(74) الصحاح: 50/1 .

جاء التشبيه الأول معتمدًا على الاستعمال؛ لأن الكلمات التي تخلو من الهمز تكون أكثرَ استعمالا ووضوحًا، وأقلَ جهدا من حيث النطق، أما التشبيه الثاني، فقد جاء متساويا في وجود الهمز.

قال الجوهري[75]:" الجواب معروف. يقال أجابه وأجاب عن سؤاله، والمصدر الإجابة، والاسم الجَابة بمنزلة الطاعة والطاقة. يقال: " أساء سَمْعًا فأساء جابةً " هكذا يُتَكَلَّمُ بهذا الحرف".

تظهر هنا الغرابة في اشتقاق الاسم (الجابة)، وهذا ما دعاه على أن يأتي بالمنزلة بقوله (الطاعة والطاقة) فالتمثيل هنا لدعم صحة الاسم، حتى لا يذهب الباحث على أن في هذا تصحيفًا أو تحريفًا .

قال الجوهري[76]:" والمِخْلَبُ للطائر والسِّباعِ، بمنزلة الظُفْرِ للإنسان".

استعمل المنزلة لتوضيح استعمال معين، إذ لا يجوز استعمال أحدهما مكان الآخر في الوظيفة اللغوية، وقد يخرج الاستعمال لأغراض بلاغية على سبيلِ السخريةِ، أو المزحةِ أو غير ذلك من الأغراضِ، ومنها في قوله تعالى:﴿ سَنسمُه على الخُرْطُومِ﴾(سورة القلم، آية:16)، فهنا استعمل الخرطوم بدل الأنف، ليخرجه من دائرة الإنسانية، وليضعه في صنف الحيوانات، وهذا على سبيل التهكم والإهانة.

قال الجوهري[77]:" وأما قول الشاعر[78] : يا ليتَ أيامَ الصِّبا رواجِعا

فإنَّما أرادَ: يا ليتَ أيامَ الصبا لنا راجِعَ، نصبه على الحال. وحكى النحويُّون أن بعضَ العربِ يستعملها بمنزله وَجَدْتُ، فيعدِّيها إلى مفعولين، ويجريها مُجرى الأفعال، فيقول: ليتَ زيدًا شاخصًا، فيكون البيت على هذه اللغة".

نراه هنا قد استعملها ليوضح بها مسألة نحوية قد سُمعت عن بعض العرب، فهو يُخرِّج (ليت) من الحرفية إلى الفعلية، وقد تكون (رواجع) قد نصبت على تقدير (كانت رواجعا) [79]، على غرار ما جاء في قوله تعالى:﴿ يا ليتني كنت ترابا﴾(سورة النبأ، آية:40), ومثل هذه الاستعمالات تُسَهِّلُ بعض ما استُغْلِقُ في الموضوعاتِ النِّحويةِ.

قال الجوهري[80]:" الرَّدَجُ بالتحريك: ما يخرُج من بَطنِ السَّخْلَةِ أو المُهْرِ قبل أن يأكل، وهو بمنزلة العِقْيِ من الصبيِّ".

تقريب الصورة بين دلالتين متقاربتين، قد تكون الثانية ـــــ عنده ـــــ أقرب للفهم من الأولى، وهذا من باب تخصيص الاستعمال.

قال الجوهري[81]:" البَعِيرُ من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس، يقال للجمل بعيرٌ وللناقة بعيرٌ. وحكى عن بعض العرب: صَرَعَتْنِي بعيري، أي ناقتي. وشربْتُ من لبنِ بعيري. وإنما يُقال له بعيرٌ إذا أَجْذَعَ" .

يبدو أن اللبس قديم في تحديد مدلول الكثير من الألفاظ، ومن بينها ما إذا كان البعير مؤنثا أم مذكرا، ليأتي الفصل بقوله بـ(منزلة الإنسان من الناس)، إذ نراه قد شمل الجنسينِ كليهما، ثم يأتي بأقول عن بعض العرب (صَرَعَتْنِي بعيري)، إذ جاء بـ(تاء التأنيث) للدلالة على أن الفاعل (بعيري) مؤنث، وكذا الحال في (شربت لبن بعيري)، أما دلالته على المذكر بقوله (يُقال له بعيرٌ إذا أَجْذَعَ).

قال الجوهري[82]:" والكِباسَةُ بالكسر: العِذْقُ، وهو من التَّمر بمنزلة العُنقود من العنب".

وقد استُعْمِل لفظ المنزلة في الحديث النبوي[83]؛ إذ قال النبيُّ محمد ـــــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــــ لعلي بن أبي طالب ـــــ كرم الله وجهه ـــــ : ((أما ترضى أن تكون مِنِّي بِمنْزَلةِ هارونَ منْ موسى)).

---

(75) الصحاح: 104/1.

(76) الصحاح: 122/1 .

(77) الصحاح: 265/1.

(78) لم أجده في ديوان العجاج، ولا في ديوان رؤبة.

(79) كتاب الجمل في النحو:234.

(80) الصحاح: 318/1.

(81) الصحاح: 593/2.

(82) الصحاح: 969/3 .

نراه جاء بالأكثر شهرة ليوضح ما هو أقل تداولا، فالعنقود معروف مشهور بالنسبة إلى الكِباسَةُ، فغرابة لفظ الكِناسة هو من جاء بالمقابل.

قال الجوهري:" والقَلُوصُ من النّوق: الشابَّةُ، وهي بمنزلة الجاريةِ من النِّساء".

ليبين مرحلة عمرية للقلوص والجارية، فكلاهما يمتاز بالفتوة، فالقلوص أصبحت جاهزة للحمل، وكذا الحال للجارية.

الخاتمة:

_ أبان لنا البحث عناية اللغويين العناية التامة بلغتهم؛ لأنها تجسد تاريخهم وهُويتهم، ومن بينهم الجوهري، وقد جال فكره في جميع المجالات .

_ كشف لنا البحث عن الاختلاف في التعامل مع اللغة؛ إذ اختلف علماء القرنين (الثالث والرابع) عن القرنين السابقين؛ وذلك باتساع الرقعة الجغرافية للدين الإسلامي، إذ بان الخطر الذي يهدد هيكل اللغة وجوهرها.

_ تعدد التصنيفات وصنع المعجمات في ترتيبات مختلفة يُعدُّ من عوامل إثراء اللغة، والحفاظ عليها، فضلا عن ذلك الآراء اللغوية والنقدية التي يضيفها اللغويون إلى كل مادة تقع بين أيديهم.

_ أظهر لنا البحث المكانة اللغوية لكل راوٍ من الرواة، فمنهم المكثر ومنهم المقل، إذ قد يصل بعض الروايات إلى كتب مستقلة لو جُمعت وبُوبت ضمن تبويب معين.

_ أما الإعجام، فهو من أهم الضوابط التي وُضعت لحراسة النص، وها أنا قد مررت بطريفة أثناء دراستي، وقد سمعت أحد التدريسيين يلفظ لفظا خاطئا في الحديث النبوي، فقال: يُحشر الناسُ يومَ القيامةِ عُزًّلا ، فعندما عدنا إلى المصدر وجدناها (غُرْلا)، فأين الأولى من الثانية من حيث المعنى.

_ الوقوف على الكثير من الألفاظ اللغوية التي لها تشكيلات مختلفة، وباختلاف تلك الحركات تختلف الدلالة.

_ التنبه على بعض الاختلافات الصرفية، وخاصة في الأوزان، فهي التي يستغلق على الخاصة وزنها قبل العامة.

_ نقل لنا البحث صورة واقعية عن حياة الجوهري، فالكتاب ينقل ما يضمه الكاتب من بُنَيَّاتِ أفكاره، فكأنه يضع خزائنه بين يدي القراء والباحثين.

_ باب التشبيه بـ(التمثيل والمنزلة) باب واسع لتوضيح المستغلقات من المواد اللغوية، بما هو أقرب للفهم فيما رآه العلماء في عصرهم .

_ تباين الدلالات لبعض الألفاظ إذا ما وُزنت مع ما وُجد في باقي المعجمات.

_ تمثل استعمالات المعجميين لبعض ألفاظ التشبيه نواة حقيقية لبعض موضوعات البلاغة وفروعها.

المصادر والمراجع:

ـــــ الإبدال في لغات الأزد دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث، أحمد بن سعيد قشاش، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، السنة (34) - العدد (117) 1422هـ - 2002م.

ـــــ الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.

ـــــ إنباه الرواة على أنباه النحاة، أبو الحسن جمال الدين القفطي (المتوفى: 646هـ)
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1982م.

ـــــ البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، (المتوفى: نحو 400هـ)،المحقق: د/ وداد القاضي، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.

ـــــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

ـــــ تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)

(83) صحيح مسلم:1870/4 رقم (2404).

المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
ـــــ تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت حدود 400هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطـار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة : الرابعة 1407هـ - 1987م.
ـــــ تصحيح الفصيح، عبدالله بن جعفر بن درستويه (المتوفى:347هـ)، تحقيق عبدالله الجبوري، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة الإرشاد، بغداد، الطبعة الأولى 1395هـ ـــــ 1975م.
ـــــ تهذيب اللغة، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
ـــــ الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق : د. فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة، 1995م.
ـــــ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، إشراف: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ـــــ لبنان،1414 هـ/1994م.
ـــــ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (المتوفى: 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة.
ـــــ خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتوليد، محمد المبارك، معهد الدراسات العربية العالمية، 1960م.
ـــــ ديوان رؤبة، وليم بن الورد، دار ابن قتيبة ـــــ الكويت.
ـــــ ديوان العجاج، رواية عبدالملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي بيروت، 1416هـ ـــــ 1995م.
ـــــ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
ـــــ علم الأصوات، دكتور كمال بشر، دار غريب ـــــ القاهرة، 2000م.
ـــــ قل ولا تقل، الدكتور مصطفى جواد، مطبعة الإيمان ـــــ بغداد، 1969م.
ـــــ كتاب السبعة في القراءات، ، أبو بكر أحمد بن موسى التميمي بن مجاهد البغدادي (المتوفى: 324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط: الثانية، 1400هـ.
ـــــ لهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى، 1989م.
ـــــ مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص، محمد عباس الباز، دار الكلمة – القاهرة، ط: الأولى، 1425 هـ - 2004 م.
ـــــ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـ- 1999م.
ـــــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ 1998م.
ـــــ مصطفى جواد وجهوده اللغوية، د. محمد عبدالمطلب البكاء، دار الرشيد (منشورات وزارة الثقافة والإعلام)، 1982م.
ـــــ المعاجم اللغوية بداءتها وتطورها، الدكتور إميل يعقوب، دار للعلم للملايين، الطبعة الأولى، 1981م.
ـــــ من أسرار اللغة، الدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ـــــ القاهرة، الطبعة الثالثة، 1966م.
ـــــ نزهة الألباء في طبقات الأدباء أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)،المحقق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ط الثالثة، 1405 هـ - 1985 م.
ـــــ النقد اللغوي بين التحرر والجمود، د. نعمة رحيم العزاوي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر ـــــ بغداد، 1984م.
ـــــ يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ)،المحقق: د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان، ط الأولى، 1403هـ1983م.